مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ٢:١٦–٢٠)

يا إخوةُ إذ نعلَمُ أنَّ الإنسانَ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ بل إنَّما بالإيمانِ بيسوعَ المسيحِ آمنَّا نحنُ أيضاً بيسوعَ المسيحِ لكي نُبرَّرَ بالإيمانِ بالمسيحِ لا بأعمالِ الناموسِ إذ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ أحدٌ من ذوي الجسدِ* فإنْ كنَّا ونحنُ طالبونَ التبريرَ بالمسيحِ وُجِدنا نحنُ أيضاً خطأةً أفيكونُ المسيحُ إذاً خادماً للخطيئةِ. حاشى* فإنّي إن عدتُ أبني ما قد هدَمتُ أجعلُ نفسي متعدِّياً* لأنّي بالناموسِ متُّ للناموسِ لكي أحيا للهِ* معَ المسيحِ صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيَّ. وما لي من الحياةِ في الجسدِ أنا أحياهُ في إيمانِ ابنِ اللهِ الذي أحبّني وبذلَ نفسَهُ عنّي.

الإنجيل

العدد ٢٠٠٥/٣٨

الأحد ١٨ أيلول

الأحد بعد رفع الصليب

تذكار أبينا البار أفمانيوس العجائبي أسقف غرتيني

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الثاني

إشارة الصليب

«نحن نكرّم الصليب ونطلب قوّته المحيية في صلواتنا قبل أن نطلب معونة القديسين أو شفاعتهم، وذلك لأن الصليب هو علامة ابن الإنسان ورسم تجسده وآلامه لخلاصنا. فعلى الصليب قدّم السيد المسيح نفسه عن كل من يؤمن به ذبيحة لله الآب من أجل خطايانا. لذلك صارت علامة الصليب هي الإشارة المشتركة بين جميع المؤمنين كرمز للخلاص والمحبة المشتركة» (القديس كيرلس الأورشليمي).

لقد وعى المسيحيون منذ نشأة الكنيسة أهمية إشارة الصليب في حياة الكنيسة وحياة كل مؤمن. هذه الأهمية تنبع من ارتباط الصليب بالمصلوب عليه، الرب يسوع المسيح. عندما بسط الرب يديه على الصليب لم يعد الصليب رمزًا للموت والخزي والعار، بل صار نبعًا للحياة الأبدية. بالصليب اختفت اللعنة وبادت، وتقهقر الشيطان وانحلت رباطات الجحيم. بالصليب حصلت المصالحة بين الله والإنسان وولد العالم الجديد. على الصليب تجلّت محبة الله غير المحدودة. الصليب إذًا هو إشارة إلى صورة المسيح المصلوب، ويستمدّ قوّته ونعمته من آلام المسيح. الصليب حامل لشخص المسيح ولا يمكن الفصل بينهما.

انطلاقًا من هذا الوعي لارتباط الصليب بالمصلوب صار المسيحيون منذ البدء يرسمون إشارة الصليب على وجوههم وأجسادهم لأن إشارة الصليب تحمل قوة الأفعال الإلهية المحيية. كما صارت إشارة الصليب تعبيرًا عن حضور الرب في حياة المؤمنين والكنيسة، وهي رمز النصر والغلبة على الخطيئة والموت. الصليب الكريم هو علامة الخلاص لأبناء الله. لذلك تشكّل إشارة الصليب العلامة الخارجية لجميع أسرار الكنيسة المقدسة دون استثناء: عند تقديس مياه المعمودية يرسم الكاهن إشارة الصليب على المياه قائلاً: «لتنسحق تحت رسم علامة صليبك جميع القوات المضادة». وعندما يصلّي لتحويل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه يبارك الكاهن القرابين برسم إشارة الصليب. وعندما يمسح الكاهن المعمود بالميرون المقدس يرسم شكل صليب على كافة أعضاء الجسد لكي يكرّسها ويختمها لله. عندما يبارك الكاهن أي شيء، يكون ذلك برسم إشارة الصليب.

(مرقس ٨:٣٤–٣٨؛ ٩:١)

قال الربُّ مَن أراد أن يتبعني فليكفُرْ بنفسهِ ويحمِلْ صليبَهُ ويتبعني. لأنَّ مَن أرادَ أن يُخلّص نفسَهُ يُهلكها ومَن أهلكَ نفسهُ من أجلي ومن أجلِ الإنجيل يخلصُها* فإنهُ ماذا ينتفعُ الإنسانُ لو ربحَ العالمَ كلَّهُ وخسرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الإنسانُ فداءً عن نفسهِ* لأنَّ مَن يستحيي بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ يستحيي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ معَ الملائكةِ القديسين* وقالَ لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قوماً مِنَ القائمينَ هٰهنا لا يذوقونَ الموتَ حتَّى يروا ملكوتَ اللهِ قد أتى بقوَّةٍ.

تأمل

أيُّها الإخوة، كالعود المغروس في وسط الفردوس (تك ٢:٩) هكذا يكون الصليب في الأماكن المقدّسة. ذلك العود قد أخرج ثمرة الحياة وأفاض ينبوعاً يروي أبديًّا، وأمّا الصليب الحاضر فقد أثمر وأفاض من جنبه ينبوعاً من دمٍ وماء. ذلك العود كان في وسط الفردوس، وأمّا هذا الصليب فقد نصب في وسط الأرض، كما شهد داود النبيّ لله قائلاً: «صنع خلاصاً في وسط

أقدم شهادة عن رسم إشارة الصليب وصلتنا من الكاتب المسيحي الإفريقي ترتليانوس (١٥٥–٢٢٥) الذي يقول: «إننا، معشر المسيحيين، نرسم إشارة الصليب على أنفسنا في كل رحلاتنا وتحركاتنا، في ذهابنا وإيابنا. عندما نرتدي الثياب والأحذية، في الحمام وعلى المائدة. عندما نشعل المصابيح وعندما نجلس للراحة. وعلى العموم في جميع أفعالنا اليومية وحياتنا. وقد استندت هذه العادة أصلاً إلى التقليد الكنسي ثم توطدت إلى العامة ويجب أن تُحفظ بالإيمان». القديس كيرلس الاسكندري (٣١٥–٣٨٦) يوصي الموعوظين المستعدين للاستنارة بالمعمودية بقوله: «فلا نخرَ أن نعترف بالمسيح مصلوبًا، بل ليت إشارة الصليب تكون ختمًا نصنعه بشجاعة بأصابعنا على جبهتنا وعلى كل شيء، على الخبز وعلى كأس الشرب، في مجيئنا وذهابنا، قبل نومنا وعند يقظتنا، وفي الطريق وفي البيت». والقديس يوحنا الذهبي الفم (ق ٤) يقول: «لا تخجل من علامة الصليب فهو ينبوع الشجاعة والبركات وفيه نحيا مخلوقين خلقة جديدة في المسيح. إلبسه وافتخر به كتاج». أما القديس افرام السرياني فيقول: «بدلاً من أن تحمل سلاحًا أو شيئًا يحميك، احمل الصليب واطبع صورته على أعضائك وقلبك، وارسم به ذاتك لا بتحريك اليد فقط بل ليكن برسم الذهن والفكر أيضًا. ارسمه في كل مناسبة باسم الآب والابن والروح القدس».

نظرًا لارتباط إشارة الصليب بالمصلوب يجب أن نرسم الصليب بتأنٍّ وترتيب وبشكل واضح. يقول القديس الروسي يوحنا كرونشتادت: «يقول الآباء إن الذي يرسم ذاته بعلامة الصليب في عجلة بلا اهتمام ولا ترتيب فإن الشياطين تفرح به. أما الذي في رويةٍ وثبات يرسم ذاته بالصليب من رأسه إلى بطنه ثم من كتفه الأيمن إلى الأيسر فهذا تحلُّ عليه قوة الصليب وتفرح به الملائكة».

يجب رسم إشارة الصليب بفهم، أي أن يرافق رسمها إيمان مطلق بما ترمز إليه، إيمان مطلق بكل عقائد الكنيسة الخلاصية، ورجاء مطلق بمحبة الله ورحمته غير المحدودتين، وعزم لا يتزعزع على أن نصلب ذواتنا الخاطئة وأهواءنا لكي يسعنا أن نقبل نعمة الله ونحيا ضميريًا حياة التجرد والتحوّل الداخليين. يقول القديس يوحنا كرونشتادت: «... لئلا يظن الناس أن قوة الشفاء كائنة في الخشب أو الذهب المصنوع منه الصليب أو في مجرد لفظ الاسم فقط، صارت قوّته وفاعليته متوقفة ومحدودة على الذين يؤمنون فقط».

تحمل إشارة الصليب لاهوت الكنيسة وجوهر إيمانها، أي عقيدتي الثالوث الأقدس والتجسد، وهي ترسم على الشكل التالي: يضم المؤمن أصابع يده اليمنى الثلاث (الإبهام والسبابة والوسطى) أحدهما إلى الآخر علامة للاعتراف بإله واحد مثلث الأقانيم. كما يضم الإصبعين الآخرين (الخنصر والبنصر) ملصقين براحة اليد وذلك رمزًا إلى اتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح الذي ولد من رحم العذراء. يرفع المؤمن يده ويضعها أولاً على جبينه ثم ينقلها إلى البطن فالكتفين من اليمين إلى اليسار من دون العودة إلى البطن أو تقبيل اليد.

«حين ترفع نظرك إلى خشبة الصليب المعلقة فوق الهيكل، اذكر مقدار الحب الذي أحبنا به الله حتى بذل ابنه الحبيب لكي لا يهلك كل من يؤمن به. فأينما وجد الصليب وجدت المحبة، لأنه هو علامة الحب الذي غلب الموت وقهر الهاوية».

الأرض». هناك غُرس، وهنا تحقّق؛ فلقد أبدع الله الفردوسَ كإله وأمّا الصليب فقد صابر عليه كإنسان.

ذلك العود المغروس قد منح الحياة، وأمّا عود الصليب هذا فيمنح الحياة الأبديّة مجاناً لمن يريدونها. ذلك العود قد أُعطي لآدم فقط ليسوده، وأمّا عود الحياة هذا فمباحٌ لكلّ من يودّ التمتّع به. ذلك العود قد مُنع التمتّعُ به من جرّاء معصية آدم، وأمّا عود الحياة هذا فيُشرك الخطأة أنفسَهم في الحياة بالتوبة.

ذلك العود المغروس قد أعطى ثمراً للحياة الأبديَّة، وأمّا عود الحياة هذا فقد اكتسب ما لم يكن عليه قبلاً إذ صار غيرَ فاسدٍ بعد أن كان فاسداً، ولم يعد من بعدُ مجرّدَ عودٍ بل بالإيمان صار ينبوعاً لحياةٍ أبديَّة. والبرهان على أنّ الصليب يُنبع حياةً هو ما قاله يسوع: «أنا هو الحياة والقيامة»، وكذلك الرسول الذي يقول إنّا قد اعتمدنا لموت المسيح من أجل حياة أبديّة.

يا لقوّة الصليب الإلهية، إذ جعلنا نتمتّع بالفردوس مانحاً إيّانا الحياة الجديدة في المسيح! والويل لليهود والوثنيين لأنهم لم يميّزوا عودَ الحياة وإن سكنوا الفردوس العام.

معمودية الأطفال

على الأطفال، كما الراشدين، قبول هذا السرّ (المعمودية)، لأن المسيح أتى ليخلّص جميع البشر، والأطفال لهم حق الخلاص. إنه (أي العماد) تجديد للبشرية جمعاء، وغفران للخطايا، وتطهير للنفس والجسد، يجعل من الإنسان ابنًا لله ويمنحه الروح القدس (القديس ايريناوس، ١٢٠–٢٠٢ م).

تشدد الكنيسة الأرثوذكسية منذ نشأتها يوم العنصرة على معمودية الكبار والصغار، وهذا ما ثابرت على ممارسته منذ البدء إذ وعت أن المعمودية تفتح أبواب الملكوت أمام الإنسان: «إنْ كانَ أحدٌ لا يولَدُ منَ الماءِ والروح لا يقدِرُ أنْ يدخلَ ملكوتَ الله» (يو ٣:٥). وهذا الباب يجب أن لا يغلق أمام الأطفال إذ إنهم يحملون نتائج الخطيئة الجديّة الأولى على ما يقول القديس كيريانوس القرطاجي (ق ٣): «إذا كان المسنّون الذين سقطوا في خطايا كبيرة يستحقون نعمة المعمودية المقدسة، فكم بالأحرى يستحقها الأطفال الذين لم يخطأوا بطبيعتهم ...». أما القديس غريغوريوس اللاهوتي (ق ٤) فقال إنه ينبغي أن يعتمد الأطفال من سن الطفولة «حتى يتقدّسوا ويكرَّسوا منذ نعومة أظافرهم».

من يحدثنا عن عدم معمودية الأطفال يتذرّع بعدم وجود كلام صريح في الإنجيل بوجوب تعميد الأطفال، بالإضافة إلى أن الرب يسوع اعتمد في الثلاثين من عمره. للإجابة نقول إنه لا يوجد أيضًا كلام صريح في الكتاب المقدس يمنع معمودية الأطفال، بل على العكس هناك كلام واضح عن دعوة الأطفال إلى المجيء إلى يسوع: «وقدّموا إليه أولادًا لكي يلمسهم. وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدّموهم. فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ وقال لهم: دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله» (مر ١٠:١٣–١٤؛ راجع متى ١٨:٣–٤ و١٤).

أما عن المقارنة بين معمودية الرب ومعموديتنا نحن فلا بدّ من التوضيح لاهوتيًا أن معمودية يسوع تختلف جوهريًا عن معموديتنا. عندما اعتمد يسوع من يوحنا لم يكن بحاجة إلى التوبة التي كان يوحنا المعمدان يدعو إليها: «كانَ يوحنا يعمّدُ في البريَّة ويكرزِ بمعموديةِ التوبةِ لمغفرةِ الخطايا» (مر ١:٤). الرب يسوع ليس لديه خطايا، «كان مجرَّبًا في كل شيءٍ مثلنا، بلا خطيئة» (عبر ٤:١٥). لكن يسوع أصرّ على أن يعمّده يوحنا كأي يهودي عادي، كسائر البشر. مانعه يوحنا في البداية إلا أنه عمَّده بعد قول يسوع: «لأنه هكذا يليق بنا أن نكمّل كل برّ» (متى ٣:١٥). إذاً اعتمد يسوع لكي يعلّمنا أن نتمم كل ناموس وشريعة، رغم أنه هو واضع الشريعة. نحن نعتمد لكي نولد من جديد في الملكوت والمسيح هو رب الملكوت وهو معطي الملكوت. نحن نعتمد لنصير مسيحيين، فهل يُعقل أن يعتمد يسوع ليصير نفسه أي مسيحيًا؟ القديس كيرلس الأورشليمي (ق ٤) يقول: «إن يسوع قدّس العماد عندما اعتمد هو نفسه. إن كان ابن الله عُمِّد فليس من أجل الحصول على مغفرة خطاياه لأنه كان بلا خطيئة، ولكنه عُمّد، هو المنزّه عن الخطيئة، لكي يمنح المعمّدين النعمة الإلهية والكرامة» (العظة الثالثة، في المعمودية).

ما يتغاضى عنه بعض المعارضين لمعمودية الأطفال هو وجود نصوص كتابية في الإنجيل تتضمن في معناها معمودية الأطفال إلى جانب الكبار . نقرأ في كتاب أعمال الرسل

الويل لليهود لأنّهم لم يعرفوا ثمرة الحياة على الرغم من أنّ الله قد ائتمنهم على فلاحة كرمه. الويل لليهود لأنّهم عميانٌ فلم يعرفوا اللؤلؤة الثمينة المعلّقة على الصليب. الويل لليهود لأنّهم أخذوا على عاتقهم العناية بالحقل من دون أن يدركوا، مع ذلك، الكنز الذي كان على العود فأسلموه إلى الأمم الوثنية. الويل لليهود لأنّهم إذ كانوا موكلين على الكرم حُرموا من فرح ذلك العود وتركوا لنا ذلك الكنز من دون أن يأخذوا منه شيئاً! ولذلك ما برح الشيطان يلعب بهم كعميان جهلة. فبسبب كسلهم أتلفوا ثمرَ الكرم، ولذلك انتزعه الله منهم وأعطاه لنا؛ أخذ الكرم ومنحه للأمم فأعطى أثماراً مضاعفة.

ومَنْ ثمرُ كرم المسيح غيرُكم؟ وأنتم عديدون وكذلك الثمار. كان المسيح يطلب في المجمع ولو عنقوداً واحداً، فقال له الأنبياء: «ضلّوا كلّهم جميعاً. ليس من يعمل صلاحاً ولا واحد». وأمّا أنتم فافرحوا بحضوره كعناقيد مميزة مقدّمين له ذواتكم. أنتم تشتركون في نعمة المسيح، أنتم ثمر كرمه الذي فيه غرس العود. «أنتم فِلاحة الله. بناء الله» (١ كور ٣:٩).

القديس افرام السرياني

أنه بعد حلول الروح القدس على التلاميذ وقف الرسول بطرس وخطب في الجموع قائلاً: «توبوا وليعتمدْ كلُّ واحدٍ منكم على اسم يسوعَ المسيح لغفران الخطايا، فتقبَلوا عطيَّةَ الروحِ القدُس. لأنَّ الموعدَ هو لكم ولأولادِكم ولكلّ الذين على بُعْدٍ، كلٍّ منْ يدعوهُ الربُّ إلهُنا. فقبلوا كلامَهُ بفرحٍ واعتَمَدوا وانضمَّ في ذلك اليومِ نحوُ ثلاثةِ آلافِ نفسٍ» (اع ٢:٣٨-٤١).

الموعد، المعمودية، هي «لكم ولأولادكم» أي أطفالكم. إذاً، حرمان الأولاد المعمودية كان أمرًا غير مقبول في الكنيسة الأولى، لذا نرى أن ليديا بائعة الأرجوان من مدينة ثياتيرا لم تعتمد لوحدها بل «اعتمدت هي وأهل بيتها» (اع ١٦:١٥). وعندما كان الرسولان بولس وسيلا مسجونين وتزلزلت الأرض وتفتحت أبواب السجن، استيقظ حافظ السجن وظنَّ أنهما قد هربا. أما هما فبشَّراه بيسوع، فقال لهما «ماذا ينبغي أن أفعلَ لكيْ أَخْلُصَ. فقالا آمنْ بالربِّ يسوعَ المسيحِ فتَخْلُصَ أنتَ وأهلُ بيتِكَ. وكلَّماهُ وجميعَ منْ في بيتِهِ بكلمةِ الرب. فأخَذَهُما في تلك الساعةِ منَ الليلِ وغسَّلَهُما منَ الجراحاتِ واعتمدَ في الحالِ هو والذينَ لهُ أجمعونَ» (اع ١٦:٣٠-٣٣).

كلمة «بيت» في الكتاب المقدس تعني كل أهل البيت كبارًا وصغارًا. في سفر التكوين عندما طلب يوسف، الذي كان مقربًا من فرعون، من إخوته أن يعودوا إلى أرض كنعان حين كان جوع ويأتوا بأبيهم يعقوب إلى أرض مصر حيث الخيرات، قال لهم: «خذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إليّ» (تك ٤٥:١٨)، فـ «جاؤوا إلى مصر يعقوب وكل نسله معه، بنوه وبنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء معه إلى مصر» (٤٦: ٦-٧).

مدرسة التنشئة اللاهوتية

يعلن مكتب التربية المسيحية في المطرانية عن استمرار التسجيل للدورة الجديدة في مدرسة القديس كوارتس للتنشئة اللاهوتية. أما افتتاح السنة الدراسيَّة فسوف يكون في صلاة الغروب التي ستُقام عند السادسة من مساء الإثنين ٣ تشرين الأول ٢٠٠٥ في كنيسة القديس ديمتريوس.

مدرسة التنشئة اللاهوتية هي مدرسة للذكور والإناث، تهدف إلى إعطاء دروس منهجيّة لاهوتية لكل راغب في تحصيل ثقافة لاهوتية. تستقبل المدرسة كل من تجاوز الثامنة عشرة من العمر من الموظفين وطلاب الجامعات وربات العائلات وأربابها والأطباء والمهندسين والعاملين والعاملات في مختلف الحقول والذين يريدون التعرّف على عقائد كنيستهم ولاهوتها. تُعطى الدروس أيام الإثنين والثلاثاء والخميس بين السادسة والثامنة مساءً في المركز الرعائي الشامل في مدرسة الأقمار الثلاثة مقابل كنيسة القديس ديمتريوس وتشمل الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، العقائد، الآباء وكتاباتهم، الليتورجيا والأسرار والطقوس، التاريخ الكنسي العام والإنطاكي بشكل خاص، البدع والطوائف، القانون الكنسي، علم الاجتماع الديني وعلم النفس.

للتسجيل ولمزيد من المعلومات الاتصال بالرقم ٠١/٣٣٤٠٨٦.

بالامكان **الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**
www.quartos.org.lb